

بأء مقءم لمؤءمر العءل والإءسان

– اءصاف الله بالءل وءسميه بالمأءسن –

إءءاء: ء. منى بنت عبء الرءمن الشنيفة.

الأسءاء المساعء بكلفة أصول الءفن بأءمعة الإمام مؤمء بن سعوء الإسلامفة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده و نستعينه , ونستغفره ونستهديه , و نعوذ بالله من شرور أنفسنا , ومن سيئات أعمالنا , من يهده الله فلا مضل له , ومن يضلل فلا هادي له , و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له , و أشهد أن محمداً عبده و رسوله صلى الله عليه و سلم أما بعد .

إنّ دين الإسلام هو الدين العالمي الذي كفل الله به سعادة البشرية جمعاء , وهو الدين الذي ارتضاه للأولين و الآخرين .

فقال تعالى في محكم تنزيله : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } [المائدة,3].

و جعل أمته أوسط الأمم كما أخبر تعالى : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا.. } [البقرة, 143] , أي : عدولاً.

و أنزل كتابه دستوراً للعالمين كما أخبر تعالى : { تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الحاقة , 43].

فأصوله و شرائعه خالدة إلى قيام الساعة , وهدايته شملت جميع مناسط الحياة فقال تعالى : { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا } [الاسراء, 9].

ودين الإسلام دين الفطرة , و دين العدل والرحمة الذي فتح الله به قلوب العباد , فدخل الناس في دين الله أفواجاً , فآمنوا برسالته و أيقنوا بعالميته . ولعل مؤتمر " العدل والإحسان " يحقق أعظم رسالة في تبليغ هذا الدين و بيان عدالته التي هي منشود جميع الخلق الذين اشربت نفوسهم لبلوغها.

لذا عازمت مستعينة بالله المشاركة في المحور الثاني من محاور المؤتمر " العدل و الإحسان في العقائد " , وهو بعنوان " وصف الله تعالى بالعدل و تسميه بالمحسن " .

فربنا تعالى متصف بكمال العدل و الإحسان , فلا يأمر إلا بعدل , ولا يقضي إلا بعدل , ولا يحكم بين عباده في الدنيا و الآخرة إلا بالعدل

و القسط , فلا يظلم عنده مثقال ذرة , ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه , وهو العدل في تدييره وتقديره كما أخبر تعالى : { إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [هود , 56]. أي : العدل الذي لا عوج فيه .

و قد تسمى ربنا تعالى بالمحسن , المتضمن وصفه بكمال الإحسان , فهو محسن لخلقه يبرهم بفضله وجوده .
فإذا العبد آمن أن الله تعالى موصوف بكمال العدل و الإحسان , فالله تعالى يجب من خلقه أن يتقربوا إليه بمقتضى
أسمائه و صفاته , فهو العدل الذي يحب المقسطين , والمحسن الذي يحب المحسنين , فيمثلوا العدل و الإحسان مع
خلقه برهم وفاجرهم , بل تعدى ذلك الإحسان إلى الحيوان فأمر النبي صلى الله عليه و سلم بإحسان ذبجه وقتله .
فإذا تحقق ذلك , نعم الناس بطيب العيش , وفضو الأمن , وبناء الحضارات. لذا وقع اختياري على بحث " وصف
الله تعالى بالعدل و تسميه بالمحسن " و يتضح ذلك بما يلي .

أولا : أهمية الموضوع و أسباب اختياره :

- 1- إنّ اثبات وصف الله تعالى بكمال العدل و الإحسان فيه ترسيخ لعالمية الدين الإسلامي الذي ختم به الأديان .
- 2- إن الإيمان بأسماء الله الحسنى و صفاته العلى , يدفع المؤمن للإيمان بمقتضاها من العدل الإحسان مع خلقه .
- 3- بيان سماحة الدين الإسلامي , و سمو تعاليمه التي تأمر بالعدل و الإحسان مع خلقه كافة .

ثانيا : هدف البحث :

- 1- إثبات وصف الله تعالى بكمال العدل و الأدلة على ذلك .
- 2- إثبات اسم الله تعالى المحسن و دلالة السنة على ذلك .
- 3- بيان ضلال أهل الكلام في تعطيل أسماء الله وصفاته و الرد عليهم .
- 4- بيان الآثار المترتبة على إيمان العبد بأسمائه و صفاته حتى يحققها في حياته .

ثالثا : خطة البحث :

تشتمل خطة البحث على مقدمة , ومبحثين , وخاتمة .

المقدمة : وفيها أهمية الموضوع و أسباب اختياره , وهدف البحث , و خطة البحث .

المبحث الأول : إثبات أن الله تعالى متصف بكمال العدل , وفيه مطالب :

المطلب الأول : تعريف العدل في اللغة و الاصطلاح .

المطلب الثاني : هل يسمى الله بالعدل ؟ بيان أقوال السلف و أدلتهم .

المطلب الثالث : موقف أهل الكلام من وصف الله تعالى بالعدل , والرد عليهم .

المبحث الثاني : إثبات اسم الله "المحسن" , وفيه مطالب :

المطلب الأول : تعريف الإحسان في اللغة و الاصطلاح .

المطلب الثاني : الأدلة من السنة على إثبات اسم الله المحسن .

المطلب الثالث : موقف أهل الكلام من ثبوت ذلك و الرد عليهم .

المطلب الرابع : أثر الإيمان بعدل الله و إحسانه على حياة المسلم .

الخاتمة , وتتضمن أهم النتائج .

رابعا : منهج البحث :

اعتمدت في بحثي المنهج الاستقرائي التحليلي , فقمت بجمع الأدلة من الكتاب والسنة الدالة على وصف الله تعالى بالعدل , واسمه " المحسن " , ثم حللت ذلك وفق مذهب أهل السنة و الجماعة , و الرد على أشهر من خالف في ذلك من أهل الكلام .

و في الختام أشكر الأكاديمية الأوروبية للدراسات القرآنية , و الجمعية العلمية السعودية (تبيان) الذين تفضلوا بقبول مشاركتي في هذا المؤتمر, فإن أصبت فذلك فضلاً ومنة من الله تعالى , و إن أخطأت فمن نفسي و من الشيطان .
عصمنا الله منه . أسأل الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا , و يزيدنا علماً وعملاً إنه جواد كريم .

تمهيد:

إن الإيمان بالله تعالى متضمن توحيد الله في ألوهيته , و ربوبيته , و أسمائه و صفاته , و هذا البحث متضمن وصف الله تعالى بالعدل و تسميه بالمحسن , فمن المهم معرفة معتقد أهل السنة و الجماعة في توحيد الأسماء و الصفات و لعلنا نجمله فيما يلي :

أولاً : تعريفه : إثبات ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله – صلى الله عليه وسلم – من صفات الكمال و نعوت الجلال على ما يليق بجلاله و عظمته , من غير تمثيل , ولا تكييف , و من غير تحريف, ولا تعطيل . ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله – صلى الله عليه و سلم – من العيوب و النقائص و ما ينافي كماله – عز و جل – (1).

ثانياً: الأسس و القواعد التي بنى أهل العلم عليها توحيد الأسماء و الصفات :

- 1- أن أسماء الله و صفاته توقيفية , فلا يسمى الله تعالى إلا بما سمي و وصف به نفسه , أو على لسان رسوله – صلى الله عليه و سلم – لا يتجاوز القرآن و الحديث.
- 2- أن ما و صف الله تعالى به نفسه حق مراد معلوم , ليس بألغاز و لا أحاجي.
- 3- إثبات ما أثبتته الله لنفسه من الأسماء و الصفات دون البحث في كيفية الذات و الصفة.
- 4- إثبات ما أثبتته الله لنفسه من الأسماء و الصفات إثباتاً بلا تمثيل , و تنزيهاً بلا تعطيل.
- 5- أن طريقة القرآن و السنة الإجمال في النفي , و التفصيل في الإثبات (2).

ثالثاً : خالف أهل السنة و الجماعة في توحيد الأسماء و الصفات طوائف ضلّت طريق الهدى و الرشاد , من أشهرها :

أولاً : المعطلة : وهذا يشمل كل من عطل الأسماء و الصفات , أو بعضها , أشهرهم :

(1) انظر: التدمرية ص 6-7 , الفتاوى 5/ 195, الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص 107.

(2) انظر : شرح السنة للبرهاري ص 63, الحجة في بيان المحجة 1/190, الفتاوى 5/ 26, الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص 115.

القول الأول : قول الجهمية , أتباع الجهم بن صفوان⁽¹⁾ , و الغلاة من القرامطة⁽²⁾ , والفلاسفة⁽³⁾ :

هؤلاء ينفون الأسماء والصفات , وزعموا أنه إذا سمي أو وصف بشيء لزم تشبيهه الله تعالى بغيره , والله منزه عن الشبيه⁽⁴⁾ .

القول الثاني : قول المعتزلة⁽⁵⁾ : يثبتون الأسماء مجردة عن الصفات , و إنما هي أعلام مجردة عن الصفات⁽⁶⁾ .

القول الثالث : قول الكلابية⁽⁷⁾ , والأشاعرة⁽⁸⁾ , والماتريدية⁽⁹⁾ , ومن وافقهم .

أثبتوا الأسماء مع إثبات بعض معانيها , وتحريف بعضها الآخر , أما الصفات فقد أثبت الأشاعرة سبع صفات , هي : العلم , الحياة , القدرة , السمع , البصر , الكلام , الإرادة , و ينكرون الصفات الفعلية لله تعالى كالغضب و الرضى

(1) يزعمون أن الإيمان هو المعرفة , ويقولون بالجبر , ولهم ضلالات . انظر : الملل والنحل للشهرستاني 86/1 .

(2) تنسب إلى حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط , وهم طائفة من الباطنية , أظهروا التشيع . انظر الفرق بين الفرق ص 213 , فضائح الباطنية للغزالي ص 12-14 .

(3) جمع فيلسوف , لفظ يوناني يطلق على محب الحكمة , وقد مرت بأدوار و مراحل , ينكرون علم الله بالجزئيات , وحشر الأجساد , من أشهرهم ابن سينا , و الفاربي . انظر : الملل و النحل 2 / 119 .

(4) الصفدية 1 / 89 .

(5) يلقبون بالقدرية , وسموا بذلك لأن مؤسسهم واصل بن عطاء اعتزل حلقة الحسن البصري . انظر : الفرق بين الفرق ص 78 , و الملل و النحل 1 / 43 .

(6) شرح الأصول الخمسة ص 151 , مقالات الإسلاميين ص 164 .

(7) أتباع محمد بن عبدالله بن سعيد بن كلاب ينفون الصفات الفعلية لله تعالى , وهم في مسائل الاعتقاد أقرب إلى أهل السنة . انظر مقالات الإسلاميين ص 298 , 546 .

(8) نسبة إلى أبي الحسن الأشعري المتوفى 324 هـ متقدموهم يثبتون الصفات سوى الاختيارية , و قد استقر مذهبهم على إثبات سبع صفات . انظر : الملل والنحل 1 / 94 .

(9) أتباع أبي منصور محمد الماتريدي , وهي فرقة في أصولها الكلامية من مذهب الأشاعرة . انظر : الماتريدية للحري .

ونحوها , و يزيد الماتريدية صفة ثامنة : التكوين . وهؤلاء يثبتون معاني الأسماء التي يثبتونها , ويجرفون دلالة بقية الأسماء التي لا يثبتون صفاتها.

ثانياً : المشبهة :

هؤلاء يثبتون صفات الله تعالى و يشبهونها بخلقه , و الله تعالى منزه عن الشبيه و المثل⁽¹⁾.

(1) مقالات الإسلاميين ص 5, 209, 340 , الفرق بين الفرق ص 181,43,18.

المبحث الأول : إثبات أن الله تعالى متصف بكمال العدل :

المطلب الأول : تعريف العدل في اللغة و الشرع :

قال ابن فارس - رحمه الله - : " العين و الدال و اللام أصلان صحيحان , لكنهما متقابلان كالمضادين :

أحدهما : يدل على استواء , و الآخر يدل على اعوجاج ... و العدل نقيض الجور , تقول : عدل في رعيته , ويوم معتدل : إذا تساوى حالاً حرّه و برده "(1).

" والعدل ما قام في النفوس أنه مستقيم , وهو ضدّ الجور , عدل الحاكم في الحكم يعدل عدلاً وهو عادل من قوم عدول و عدل و العدل : الحكم بالحق "(2).

فالعدل إذا الحكم بالحق و وضع الأمور في مواضعها , و الاستواء في الأمور بعدا عن الجور و الظلم فيها , و العدل من الناس المستوي الطريقة .

أما معنى العدل في الشرع :

فقد ورد لفظ " العدل " في كتاب الله تعالى , و سنة نبيه - صلى الله عليه و سلم - في مواطن متعددة

لا تخرج عن المعنى اللغوي , منها :

قول الله تعالى : { وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ } [البقرة, 282].

"أي : بالقسط و الحق ولا يجر في كتابته على أحد , و لا يكتب إلا ما اتفقوا عليه من غير زيادة ولا نقصان"(3).

قول الله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى... } [النحل, 90].

قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - : "إن الله يأمر في هذا الكتاب الذي أنزله إليك يا محمد بالعدل وهو الإنصاف,

(1) معجم مقاييس اللغة 4 / 246 (عدل).

(2) لسان العرب 11/430 (عدل).

(3) تفسير ابن كثير 1/336.

ومن الإنصاف الإقرار بمن أنعم علينا بنعمته و الشكر على إفضاله و نولي الحمد أهله"⁽¹⁾.

وقول الله تعالى : { وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ } [النساء , 58].

وهذا يشمل الإنصاف و العدل في الحكم في الدماء و الأموال و الأعراس كما جاءت به الشريعة, مع القريب و البعيد , و البر و الفاجر , و الولي و العدو⁽²⁾.

فتبين مما سبق أن معنى العدل في الشرع هو الإنصاف, والحكم بالحق دون حيف ولا ظلم و وضع الأمور في مواضعها .

المطلب الثاني : هل يسمى الله بالعدل ؟ بيان أقوال السلف و أدلتهم .

العدل لم يرد إطلاقه اسماً لله تعالى في القرآن , ولم يصح به حديث عن النبي - صلى الله عليه و سلم - وأهل السنة و الجماعة في ذلك على قولين :

القول الأول : من أطلق اسم "العدل" على الله تعالى و ممن ذهب إلى ذلك :

ابن منده في كتاب "التوحيد"⁽³⁾ , و ابن خزيمة - رحمه الله - في كتابه التوحيد قال : "والله الحكم العدل ... و المقسط أيضاً اسم من أسامي الله عز وجل"⁽⁴⁾.

وقال "والله العدل و أمر عباده بالعدل و الإحسان"⁽⁵⁾.

(1) تفسير الطبري 14 / 162.

(2) انظر تفسير السعدي ص 183.

(3) التوحيد. 2 / 149.

(4) التوحيد 1 / 67.

(5) التوحيد 1 / 68.

وابن القيم - رحمه الله - قال: "ومن أسمائه الحسنى العدل الذي كل أفعاله و أحكامه سداد و حق.." (1).

و كذلك الشيخ عبدالرحمن السعدي - رحمه الله - : "الحكم العدل" الذي يحكم بين عباده في الدنيا و الآخرة بعدله و قسطه فلا يظلم مثقال ذرة , ولا يحمل أحد وزر أحد , و لا يجازي العبد بأكثر من ذنبه , و يؤدي الحقوق إلى أهلها فلا يدع صاحب حق إلا وصل إليه حقه" (2).

و كذلك الخطابي (3), والبيهقي (4), وابن العربي (5).

وقد استدلل ابن منده , و الخطابي , والبيهقي , و ابن العربي بحديث عدّ الأسماء المشهور الذي رواه الترمذي وغيره عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - : (إن لله تسعة و تسعين اسما من أحصاها دخل الجنة , هو الله الذي لا إله إلاه الرحمن , الرحيم , الملك , القدوس , السلام , المؤمن , المهيمن , العزيز , الجبار , المتكبر , الخالق , الباري , المصور , الغفار , القهار , الوهاب , الرزاق , الفتاح , العليم , القابض الباسط , الخافض , الرافع , المعز المذل , و السميع , البصير , الحكم العدل ...) (6).

القول الثاني : ذهب جمع من أهل العلم إلى أن العدل لم يرد إطلاقه اسما لله تعالى في نص صحيح , فلم يذكره ابن حجر - رحمه الله - في تلخيص الحبير (7).

(1) الفوائد ص 25.

(2) تفسير السعدي 5/ 489.

(3) شأن الدعاء ص 62.

(4) الأسماء و الصفات ص 98.

(5) أحكام القرآن 2/ 341.

(6) أخرجه الترمذي, كتاب : الدعوات , باب : (83) (3507) 5/ 530 و قال : " هذا حديث غريب " , و ابن ماجه كتاب : الدعاء , باب : أسماء الله عز وجل (3861) 2/ 1269 , صدر الحديث في الصحيحين البخاري (6957) , و مسلم (2677) , أما عدّ الأسماء وضعفه أهل العلم انظر : الفتاوى 6/ 379 , و مدارج السالكين 3/ 433.

(7) انظر : تخلص الحبير 4/ 174.

وكذلك الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله - في القواعد المثلى في عدّ الأسماء التي جمعها من الكتاب والسنة⁽¹⁾.

وأهل السنة والجماعة يصفون الله تعالى بالعدل , وأنه قائم بالقسط لا يظلم شيئاً وهو منزّه عن الظلم. ويستدلون بالحديث الذي أخرجه الشيخان: أنه لما كان يوم حنين آثر الرسول - صلى الله عليه وسلم - ناساً في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل, وأعطى عينه مثل ذلك, وأعطى أناساً من أشرف العرب وآثرهم يومئذٍ في القسمة, فقال رجل: والله إن هذه لقسمة ما عُديَل فيها, وما أُريد فيها وجه الله. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله. قال: ثم قال: يرحم الله موسى قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر)⁽²⁾.

وقول الله تعالى : { وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا } [الأنعام, 115].

فوصف كلماته تعالى بالصدق و العدل , فالكلام إما إنشاء و إما إخبار , فالإخبار صدق , و الإنشاء أمر تكوين وتشريع عدل لا ظلم فيها⁽³⁾.

ويدل على ذلك ما جاء في دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - : (اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك...)⁽⁴⁾.

قال ابن القيم - رحمه الله - : "تضمن هذا الكلام أمرين:

أحدهما: مضاء حكمه في عبده.

الثاني: يتضمن حمده وعدله وهو سبحانه له الملك وله الحمد وهو معنى قول نبيه هود: { مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا } ثم قال: { إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [هود, 56]. أي: مع كونه مالكاً قاهراً متصرفاً في عباده نواصيهم

(1) القواعد المثلى في فتاوى العقيدة 276/3.

(2) أخرجه البخاري: كتاب أبواب الخمس, باب ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعطي المؤلفه قلوبهم, [2981] 1148/3, ومسلم الزكاة, باب إعطاء المؤلفه قلوبهم, [1062] 739/2.

(3) انظر: الفتاوى 245/16.

(4) أخرجه الإمام أحمد في المسند 452/1, وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وصححه 136/10.

بيده، فهو على صراط مستقيم وهو العدل الذي يتصرف به فيهم فهو على صراط مستقيم في قوله، وفعله، وقضائه، وقدره، وأمره ونهيته، وثوابه وعقابه، فخره كله صدق، وقضاؤه كله عدل⁽¹⁾.

فدلّ الحديثان على اتصاف الله تعالى بالعدل في أفعاله وأقواله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "اتفق المسلمون وسائر أهل الملل على أن الله تعالى عدلٌ قائم بالقسط لا يظلم شيئاً، بل هو منزّه عن الظلم"⁽²⁾.

قال ابن القيم - رحمه الله - في نونيته:

"والعدل من أوصافه في فعله ومقاله والحكم والميزان"⁽³⁾.

المطلب الثالث: موقف أهل الكلام من وصف الله تعالى بالعدل والرد عليهم.

تقدم بيان موقف أهل الكلام من أسماء الله وصفاته ومسالكهم في ذلك، ولعل أشهر أقوالهم ما يلي:

القول الأول: مذهب المعتزلة: جعلوا العدل أصلاً من أصولهم الخمسة، وحرفوا دلالة بأن الله لا يخلق فعل العبد.

قال القاضي عبد الجبار: "وأما الأصل الثاني من الأصول الخمسة وهو الكلام في العدل، وهو كلامٌ يرجع إلى أفعال القديم تعالى جلّ وعز"⁽⁴⁾.

وقال: "ونحن إذا وصفنا القديم تعالى بأنه عدلٌ حكيم فالمراد به أنه لا يفعل القبيح أو لا يختاره، ولا يُخل بما هو واجبٌ عليه، وأن أفعاله كلها حسنة"⁽⁵⁾.

(1) الفوائد ص21.

(2) جامع الرسائل 1/121.

(3) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد 2/233.

(4) شرح الأصول الخمسة ص203.

(5) شرح الأصول الخمسة ص203.

والله تعالى عندهم عدلٌ لا يظلم, لأنه لم يُرد وجود شيء من الذنوب لا الكفر ولا المعاصي, بل العباد يفعلون ذلك بغير مشيئته, والله لم يخلق شيئاً من أفعال العباد لا خيراً ولا شراً, لأنه لو كان خالقاً لها ثم عاقب العاصين لكان ظالماً لهم⁽¹⁾. ويفسرون عدل الله تعالى بمفعولاته على قاعدتهم أن الخلق هو المخلوق, والفعل هو المفعول, ولا يرون أن العدل وصفٌ قائمٌ بذاته تعالى.

ويعرفون الظلم الذي تنزه الله تعالى عنه: إضرار غير مستحق وهذا منتفٍ عن الله, ويجعلون ظلمه من جنس ظلم العباد وعدله من جنس عدلهم فهم مشبهه في الأفعال, ولذا قالوا ليس في الوجود ظلم من الله, لأنه عندهم لم يخلق شيئاً من أفعال العباد, ولا يقدر على ذلك⁽²⁾.

القول الثاني: قول الأشاعرة ومن وافقهم:

يرى جمهور الأشاعرة أن الله تعالى مسمى بالعدل: الذي يصدر عنه فعل العدل المضاد للجور والظلم⁽³⁾.

قال الجويني: "العدل معناه العادل, وهو الذي يفعل ما له فعله... قال ابن ميمون موضحاً ذلك: قد تبين أن العدل يرجع إلى الفعل"⁽⁴⁾.

وقال الرازي: "العدل بمعنى المعتدل وهذا مجاز, وحقيقته كونه سبحانه وتعالى منزهاً عن النقائص الحاصلة في طرفي الإفراط والتفريط, وجانبي التشبيه والتعطيل"⁽⁵⁾.

وقال: "وأما المشايخ فقالوا: العدل الذي له أن يفعل ما يريد وحكمه ماضٍ في العبيد"⁽⁶⁾.

(1) انظر: جامع الرسائل 121/1.

(2) انظر: جامع الرسائل 123/1, والفتاوى 128/18.

(3) المقصد الأسنى للغزالي ص 62.

(4) شرح الإرشاد ص 322.

(5) لوامع البيئات ص 238.

(6) لوامع البيئات 239.

وبذلك يتضح أنهم لم يصفوا الله تعالى بالعدل, وإنما فسروا عدل الله تعالى بأفعاله, ولم يجعلوا العدل قسيماً للظلم بل قالوا إن الظلم ممتنع الوجود بالنسبة لله تعالى, وقالوا لو عذب أهل السماوات والأرض بلا ذنب لكان عادلاً⁽¹⁾.

بذلك يتضح أن المعتزلة و الأشاعرة متفقون على أن العدل وصف لا يقوم بذات الله تعالى, و يفسرون ذلك بمفعولاته, يمكن نجل الجواب على القولين كما يلي :

أولاً : الرد على المعتزلة: يرد عليهم من وجوه:

أولاً: قولهم أن الله تعالى عادلٌ لم يخلق أفعال العباد من خير أو شر وإنما العباد هم الذي خلقوها, فيمكن الجواب عن ذلك من وجهين:

الأول: ثبت بالأدلة القاطعة أن الله تعالى خالق أفعال العباد منها : قول الله تعالى: { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ } [الزمر, 62].

وقول الله تعالى: { ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ } [غافر, 62].

فدللت الآيتان على أن الله تعالى خالق كل شيء, ويدخل في هذا العموم أفعال العباد.

وقول الله تعالى: { وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ } [الحجرات, 7].

فهو سبحانه الذي جعل الإيمان محبوباً وهو الذي جعل ما يُضاد الإيمان من الكفر والفسوق والعصيان مكروهاً عندكم.

الثاني: أن هناك فرق بين ما هو خلق الله تعالى وما هو مخلوق له سبحانه وتعالى, أفعال العباد مخلوقة لله وليست هي نفس فعل الرب وخلقته حتى لا يضاف إلى الله ما يفعل العباد من الظلم والكذب والقبائح, لأن هذه الصفات يتصف بها من كانت فعلاً به كما يفعلها العبد وتقوم به, ولا يتصف بها من كانت مخلوقة له, إذا كان قد جعلها صفة لغيره, كما أنه سبحانه لا يتصف بما خلقه في غيره من الطعوم, والألوان, والروائح, والأشكال, والمقادير, والحركات, وغير ذلك⁽²⁾.

(1) انظر: جامع الرسائل 1/125.

(2) انظر: الفتاوى 8/123.

كما أن الله تعالى خالق أفعال العباد, والعباد فاعلون لأفعالهم, وقد منحهم الله القدرة على الفعل والترك, ولهم إرادة ومشية واختيار, وقد مكنتهم الله تعالى وأقام الحجة عليهم ولم يجبرهم⁽¹⁾.

قال ابن القيم - رحمه الله - : "وقضاؤه وقدره القائم به حق وعدل, وإن كان المقضي المقدر ما هو جور وظلم, فالقضاء غير المقضي والقدر غير المقدر"⁽²⁾.

وقال: "فإن الخالق غير المخلوق بل الله تعالى بذاته وصفاته الخالق وكل ما عداه مخلوق... فإن الفعل غير المفعول, ولا نقول إنما فعل الله, والعبد مضطر مجبور عليها, ولا نقول إنما فعل للعبد والله غير قادر عليها ولا جاعل العبد فاعلاً لها"⁽³⁾.

ثانياً: أنهم فسروا الظلم أنه إضرار غير مستحق وهذا منتفٍ عن الله...

يرد عليهم من وجوه:

أولاً: أن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه, كما دلت على ذلك لغة العرب, والقرآن إنما نزل بلغة العرب.

قال ابن الأزهري: الظلم وضع الشيء في غير موضعه, يقال: ظلم الرجل سقاه إذا سقى منه قبل أن يخرج منه زبده. ويقال: ظلم الماء الوادي إذا وصل منه إلى مكان لم يكن إليه فيما مضى⁽⁴⁾.

وقال ابن القيم - رحمه الله - : "وهذا القول هو الصواب المعروف في لغة العرب والسنة وإنما تحمل ألفاظه على لغة القوم لا على الاصطلاحات الحادثة, فإن هذا أصل كل فسادٍ وتحريفٍ وبدعة. وهذا شأن أهل البدع دائماً يصطلحون على معانٍ يضعون لها ألفاظاً من ألفاظ العرب ثم يحملون ألفاظ القرآن والسنة على تلك الاصطلاحات الحادثة"⁽⁵⁾.

(1) انظر: مختصر الصواعق 325.

(2) أعلام الموقعين 162/1.

(3) شفاء العليل ص 98.

(4) انظر: تهذيب اللغة 274/14, ولسان العرب 373/12.

(5) مختصر الصواعق ص 222.

ثانياً: حقيقة الظلم أن يؤخذ من حسناته ويزاد في سيئاته والله تعالى حكم عدل يضع الأمور في مواضعها, وقد جاء في حديث أبي ذر - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي, وجعلته بينكم محرماً, فلا تظالموا... الحديث)⁽¹⁾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "أن الظلم الذي حرمه الله على نفسه مثل: أن يترك حسنات المحسن فلا يجزيه بها, ويعاقب البريء على ما لم يفعله من السيئات, ويعاقب هذا بذنب غيره, أو يحكم بين الناس بغير القسط, ونحو ذلك من الأفعال التي نزه نفسه سبحانه عنها لقسطه وعدله وهو قادر عليه, وإنما استحق الحمد والثناء لأنه ترك الظلم وهو قادر عليه"⁽²⁾.

ثالثاً: أنهم قاسوا ظلم الله تعالى بظلم العباد, وعدله من جنس عدل العباد, فهم مشبهة في الأفعال وقد نزه الله تعالى نفسه عن الشبيه والمثل فقال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى , 11].

وقال: {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل , 74].

ويوضح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بقوله: جعلوا الظلم منه تعالى نظير الظلم من الآدميين بعضهم لبعض, وشبهوه ومثلوه في الأفعال بأفعال العباد, حتى كانوا هم ممثلة الأفعال, وضربوا لله الأمثال ليجعلوا له المثل الأعلى, بل أوجبوا عليه وحرّموا ما رأوا أنه يجب على العباد ويحرم بقياسه على العباد, وقالوا إذا أمر اثنين بأمر واحد وخص أحدهما بإعانة على فعل المأمور كان ظلماً إلى أمثال ذلك من الأمور, التي هي من باب الفضل والإحسان جعلوا تركه لها ظلماً⁽³⁾.

رابعاً: أنهم نزهوا الله تعالى عن الظلم بقولهم: أن العبد يخلق فعل نفسه, فوقعوا في إنكار قدرته على خلق فعل العبد.

قال ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله - : "زعموا أن الله شاء الإيمان من الكافر ولكن الكافر شاء الكفر, فروا إلى هذا لئلا يقولوا شاء الكفر من الكافر وعذبه عليه!

(1) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة , باب تحريم الظلم [2577] 1994/4.

(2) جامع الرسائل 121/1.

(3) انظر: الفتاوى 138/18.

ولكن صاروا كالمستجير من الرمضاء بالنار! فإنهم هربوا من شيء, فوقعوا فيما هو شر منه, فإنه يلزمهم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله تعالى, فإن الله قد شاء الإيمان منه والكافر شاء الكفر, فوقعت مشيئة الكافر دون مشيئة الله تعالى! وهذا من أقبح الاعتقاد⁽¹⁾. ففروا من وصف الله بالظلم فوقعوا فيما هو شر منه من نفي قدرته.

ثانياً: الرد على الأشاعرة ومن وافقهم:

المعتزلة و الأشاعرة متفقون أن الله لا يقوم به وصف العدل , و فسروا عدله بمفعولاته , على قاعدتهم أن الخلق هو المخلوق و الفعل هو المفعول , و نجمل الجواب عن تلك الشبهة من وجوه :

1- أن أفعال الله تعالى نوعان : لازمة لا تتعدى إلى مفعول كالأستواء و المجيء و النزول و غير ذلك بل هي قائمة بالله , و متعدية إلى مفعول كالخلق و الرزق و الإحياء و الإماتة ونحو ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "الأفعال اللازمة المضافة إلى الرب سبحانه وتعالى مثل: المجيء, والإتيان, والاستواء إلى السماء وعلى العرش, بل وفي الأفعال المتعدية مثل: الخلق, والإحسان, والعدل, وغير ذلك هو ناشئ من نزاعهم في أصلين:

أحدهما: أن الرب تعالى هل يقوم به فعل من الأفعال فيكون خلقه للسماوات والأرض فعلاً فعله غير المخلوق, أو أن فعله هو المفعول, والخلق هو المخلوق؟"⁽²⁾.

فذكر شيخ الإسلام أن القول الأول: أن الفعل غير المفعول والخلق غير المخلوق هو قول السلف قاطبة من أئمة المالكية والشافعية وأصحاب أحمد وأهل الحديث والكلام.

والقول الثاني: أن الفعل نفس المفعول والخلق نفس المخلوق, وليس لله تعالى صنُّع ولا فعلٌ ولا خلق ولا إبداع إلا المخلوقات أنفسها, وهذا قول الجهمية وأكثر المعتزلة والأشاعرة⁽³⁾.

(1) شرح العقيدة الطحاوية 321/1.

(2) الفتاوى 528/5.

(3) انظر: الفتاوى 528/5-529.

الأصل الثاني: الذي تُبنى عليه أفعال الرب اللازمة والمتعدية, وهو أنه سبحانه هل تقوم به الأمور الاختيارية المتعلقة بقدرته ومشيتته أم لا ؟

فمذهب السلف وأئمة الحديث وكثير من طوائف الكلام والفلاسفة جواز ذلك. وذهب نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة والكلائية و الأشاعرة إلى امتناع قيام ذلك به⁽¹⁾.

أما الجواب عن الأصل الأول وهو دعوى أن الفعل هو المفعول من وجوه:

1- أن الفعل لا بد له من فاعل سواء كان متعدياً إلى مفعول أو لم يكن. والفاعل لا بد له من فعل سواء كان فعله مقتصراً عليه أو متعدياً إلى غيره. والفعل المتعدي إلى غيره لا يتعدى حتى يقوم بفاعله, وهذا معلومٌ سمعاً وعقلاً.

أما السمع : فإن أهل اللغة العربية التي نزل بها القرآن متفقون أنه لا بد في الفعل المتعدي إلى المفعول به ما في الفعل اللازم وزيادة. فالفعل اللازم متضمن فعل وفاعل, وكذلك الفعل المتعدي بزيادة مفعول به.

2- أما من جهة العقل فمن جَوَّز أن يقوم بذات الله تعالى فعلٌ لازمٌ له كالحيء, والاستواء ونحو ذلك لم يمكنه أن يمنع قيام فعل يتعلق بال مخلوق كالخلق والبعث والإماتة والإحياء⁽²⁾.

فنعلم من المعقول أن الفعل المنفصل الذي يفعله الفاعل لا يكون إلا بفعلٍ يقوم بذاته, وأما نفس فعله القائم بذاته فلا يفتقر إلى فعل آخر, بل يحصل بقدرته ومشيتته⁽³⁾.

أما الجواب عن الأصل الثاني: وهو امتناع قيام الأفعال الاختيارية المتعلقة بقدرته ومشيتته, فيجاب عن ذلك من وجوه:

1- أن نصوص الكتاب والسنة دلت على أن الله تعالى يفعل متى شاء, والنصوص الدالة على ذلك أكثر من أن تُحصى كالخلق والإرادة والكلام. كما أخبر الله تعالى عن نفسه : {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [النحل,40].

(1) انظر : الفتاوى 5/528, و درء التعارض 3/2.

(2) انظر : درء التعارض 3/2-5, والفتاوى 5/531-532.

(3) انظر : الفتاوى 5/531.

2- أن قيام الصفات الاختيارية بالرب تعالى كمالاً لا نقص فيه, بخلاف عدم اتصافه بها.

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : "والله تعالى حيّ قيوم لم يزل موصوفاً بأنه يتكلم بما يشاء, فعّالٌ لما يشاء, وهذا قد قاله العلماء الأكابر من أهل السنة والحديث... والفعل صفة كمال لا صفة نقص كالكلام والقدرة, وعدم الفعل صفة نقص كعدم الكمال وعدم القدرة, فدل العقل على صحة ما دل عليه الشرع وهو المطلوب"⁽¹⁾.

3- أن شبهتهم التي بنوا قولهم عليها في نفي قيام الصفات الاختيارية بالرب تعالى هي: "حلول الحوادث به سبحانه وتعالى" وهذا لفظ مجمل فإن أُريد بالنفي أنه سبحانه لا يحل بذاته المقدسة شيئاً من مخلوقاته المحدثه, أو لا يحدث له وصفٌ متجدد لم يكن فهذا نفيٌ صحيح. وإن أُريد به نفس الصفات الاختيارية بأن الله لا يفعل ما يريد ولا يتكلم بما شاء إذا شاء كما يليق بجلاله فهذا نفيٌ باطل⁽²⁾.

ثانياً : يفسر الأشاعرة الظلم أنه التصرف في ملك الغير , و لذلك قالوا : أن الظلم ممتنع لذاته في حق الله تعالى كالجمع بين النقيضين , فالله تعالى لم يقدر الظلم , و أن كل أفعاله عدل . فلو عذب أهل الأرض لكان عادلاً . فنجمل الجواب عليهم من وجوه :

1- أن الله تعالى نزه ذاته المقدسة عن الظلم كما أخبر تعالى بقوله : { وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ } [غافر , 31].

أن الأمر الذي لا يمكن القدرة عليه لا يصلح أن يمدح الممدوح بعدم إرادته . وإنما يكون المدح بترك الأفعال إذا كان قادراً عليها , فعلم أن الله تعالى قادر على ما نزه نفسه عنه من الظلم , و أنه لا يفعله لكمال عدله , و لذلك قال - صلى الله عليه و سلم - فيما يروي عن ربه : (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي , و جعلته بينكم محرماً) . و التحريم لا يجوز أن يكون فيما هو ممتنع لذاته .

(1) درء التعارض 5/2-6.

(2) انظر : شرح العقيدة الطحاوية 97/1.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : " يجب تنزيه الله و رسوله عن إرادة مثل هذا المعنى الذي لا يليق الخطاب بمثله , إذ يشبه التكرير , و إيضاح الواضح ليس فيه مدح ولا ثناء , فعلم أن الذي حرمه على نفسه هو مقدور عليه , لكنه لا يفعله , لأنه حرمه على نفسه , وهو منزه عن فعله مقدس عنه " (1).

كما أخبر الله تعالى : { وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا } [طه , 112].

لا يخاف يظلم فيحمل عليه سيئات غيره , ولا يهضم فينقص من حسناته , ولا يجوز أن يكون هذا الظلم هو شيء ممتنع غير مقدور عليه , فيكون التقدير لا يخاف ما هو ممتنع لذاته خارج عن الممكنات و المقدورات . فكيف يعقل وجوده ؟ فضلا أن يتصور خوفه حتى ينفي خوفه . ثم أي فائدة في نفي خوف هذا؟ (2)

2- أنهم جوزوا على الله تعالى أن يعذب جميع أهل العدل و الصلاح , و أن ينعم أهل الكذب و الظلم . فهم بذلك لم ينزهوا الله تعالى ما نزه به نفسه من الظلم , و حرمه لكامل عدله .

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : " و لهذا قال جمهور الناس عن هؤلاء أنهم لا ينزهون الرب عن السفه و الظلم , بل يصفون له بالأمثال التي يوصف بها المجانين و السفهاء , قد يعاقب من هو أهل للإكرام و الإحسان , و الرب تعالى أحكم الحاكمين , و أعدل العادلين , و خير الراحمين , و الحكمة وضع الأشياء مواضعها , و الظلم وضع الأشياء في غير موضعه " (3).

وهذا التنزيه الذي نزهوا الله تعالى عنه من الظلم يشترك فيه كل أحد, فلا مدح في كون الممدوح منزها عن الجمع بين النقيضين , والله تعالى تمدح بعدم الظلم و أنه لا يريد , و محال أن يتمدح بكونه لا يريد الجمع بين النقيضين (4).

(1) الفتاوى - بتصرف يسير - 144/18.

(2) انظر : الفتاوى 141/18 , مختصر الصواعق ص 224.

(3) النبوات ص 145.

(4) انظر : مختصر الصواعق ص 223.

المبحث الثاني : إثبات اسم الله تعالى المحسن , وفيه مطالب :

المطلب الأول : تعريف الإحسان في اللغة و الشرع :

الإحسان في اللغة :

قال ابن فارس - رحمه الله - : "الحاء و السين و النون أصل واحد , فالْحُسْن ضدّ الْقَبْح , يقال : رجل حسن , و امرأة حسناء و حُسْنانة ... و المحاسن من الإنسان و غيره ضد المساوي"⁽¹⁾.

"والْحُسْن نعت لما حسن , يقال : حسن الشيء حسناً, و قال تعالى : { وَفُؤَلُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا } [البقرة , 83], و الإحسان ضد الإساءة"⁽²⁾.

"وأحسن إليه وبه , وهو يحسن الشيء أي يعلمه , ويستحسنه أي : يعده حسناً"⁽³⁾.

تعريف الإحسان في الشرع :

ورد لفظ الإحسان في الكتاب و السنة بعدة تصرفات لا تخرج عن المعنى اللغوي , منها :

قول الله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ } [النحل , 90].

قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - : "إن الإحسان الذي أمر الله به تعالى الذي وصفنا صفته : الصبر لله على طاعته فيما أمره نهي في الشدة و الرخاء , و المكره و المنشط , وذلك أداء فرائضه"⁽⁴⁾.

وقول الله تعالى : { وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ } [القصص , 78].

(1) معجم مقاييس اللغة 85/2 (حسن).

(2) تهذيب اللغة / للأزهري 182/4 (حسن).

(3) مختار الصحاح للرازي ص 58 (حسن).

(4) تفسير الطبري 11 / 163.

قال البغوي - رحمه الله - : "أحسن بطاعة الله كما أحسن الله إليك بنعمته , قيل: أحسن إلى الناس كما أحسن الله إليك"(1).

و قد فسر النبي - صلى الله عليه و سلم - الإحسان في حديث جبريل المشهور بقوله : (أن تعبد الله كأنك تراه , فإن لم تكن تراه فإنه يراك) (2).

ففي الحديث إشارة إلى كمال المشاهدة و المراقبة الجامعة لخشيته , ومحبته , و معرفته , و الإنابة إليه , و الإخلاص له (3).

المطلب الثاني : اثبات اسم الله " المحسن " , و الأدلة على ذلك :

ثبت اسم الله المحسن في حديثين صححهما أهل العلم :

الأول : عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - : (إذا حكمتم فاعدلوا , و إذا قتلتم فأحسنوا , فإن الله محسن يحب الحسنين) (4).

الثاني : حديث شداد بن أوس - رضي الله عنه - قال : حفظت من رسول الله - صلى الله عليه و سلم - اثنتين قال : (إن محسن يجب الإحسان إلى كل شيء , فإذا قتلتم فأحسنوا القتل ...) (5).

ففي الحديثين ثبوت تسمي الله تعالى بالمحسن , والمتضمن وصفه تعالى بالإحسان كما يليق بعظمته و جلاله .

(1) تفسير البغوي 3 / 455.

(2) أخرجه البخاري الإيمان , باب : سؤال جبريل النبي صلى الله عليه و سلم (50) 1 / 27 , و مسلم كتاب : الإيمان , باب : الإيمان و الإسلام و الاحسان (8) 1 / 36.

(3) انظر : مدارج السالكين 2 / 479.

(4) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط 6 / 40 , و ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال 6 / 133 , و ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد و قال : و رجاله ثقات . 5 / 197 , و صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة 1 / 761.

(5) أخرجه عبدالرزاق في المصنف 4 / 492 , و الطبراني في المعجم الكبير 7 / 332 , و صححه الألباني في صحيح الجامع ص 374.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "تعبيد الخلق لربهم كما سنه رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و تغيير الأسماء الشركية إلى الأسماء الإسلامية ... و كان شيخ الإسلام الهروي قد سمى أهل بلده بعامية أسماء الله الحسنى , وكذلك أهل بيتنا غلب أسمائهم التعبيد لله كعبدالله ... و المحسن" (1).

قال ابن القيم - رحمه الله - : " كل اسم من أسمائه سبحانه له صفة خاصة , فإن أسمائه أوصاف مدح و كمال " ثم ذكر بعض أسمائه فقال : " البر و المحسن , والمعطي , المنان" (2).

قال شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - : "أما عبدالمحسن فلا بأس به , لأن المحسن من أسماء الله سبحانه وتعالى" (3).

وذكره الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله - في عده الأسماء الحسنى في كتاب "القواعد المثلى" فقال : "ومن السنة المحسن ... وإن كان عندنا تردد في إدخاله , لأننا لم نطلع على رواته في الطبري , وقد ذكره شيخ الإسلام من الأسماء" (4).

و يوضح ابن القيم وصفه بالإحسان بقوله :

هو كثرة الخيرات والإحسان	والبر في أوصافه سبحانه
فالبر حينئذ له نوعان	صدرت عن البر الذي هو وصفه
مولي الجميل ودائم الإحسان (5).	وصف وفعال فهو بر محسن

فتبين ثبوت تسمي الله تعالى بالمحسن , واتصافه بالإحسان.

(1) الفتاوى 379/1.

(2) مدارج السالكين 1 / 450 - 451.

(3) مجموع فتاوى الشيخ عبدالعزيز بن باز 5 / 359.

(4) القواعد المثلى - ضمن فتاوى العقيدة - 3 / 278.

(5) توضيح المقاصد و تصحيح العقائد 2 / 234.

المطلب الثالث : موقف أهل الكلام من ثبوت ذلك , و الرد عليهم :

خالف أهل الكلام في ثبوت وصف الله تعالى بالإحسان , و إن كانوا يثبتون الاسماء لله تعالى لكنهم يحرفون ما تدل عليه من الصفات , ولعل أشهر الأقوال قولين :

القول الأول : قول المعتزلة :

مذهبهم في الأسماء يثبتونها مجردة عن الصفات , فالله تعالى لا يقوم به وصف , فهم يصفون أفعال الله تعالى أنها حسنى , و أنه لا يفعل القبيح.

قال القاضي عبدالجبار : " أفعال الله كلها حسنة , و أنه لا يفعل القبيح , ولا يخل بما هو واجب عليه

وأنه لا يكذب في خبره و لا يجور في حكمه "(1).

فقولهم يتضمن مسألتين :

الأولى : أن العبد يخلق فعل نفسه , و الله تعالى لم يخلق فعل العبد من خير و شر , لأن أفعال الله تعالى موصوفة بالحسن ولا توصف بالقبيح , و أفعال العباد متضمنة للكفر و الظلم و المعاصي و الله تعالى منزه عن ذلك .

الثانية : أن وصفهم أفعال الله تعالى بالحسن , مبني على قاعدتهم : أن الخلق هو المخلوق و الفعل هو المفعول , فيفسرون الإحسان بمفعولاته .

و تقدم الجواب عن تلك الشبهتين في وصف الله تعالى بالعدل .

القول الثاني : قول الأشاعرة :

يثبت الأشاعرة اسم الله المحسن و إن كانوا يحرفون دلالاته .

قال الغزالي : " البر هو المحسن "(2).

(1) شرح الأصول الخمسة ص83, وانظر : المغني 11 / 84.

(2) المقصد الأسنى ص220.

قال الرازي : " البر و البار بمعنى واحد , وهو المحسن , إذا عرفت هذا, فنقول بر الله بعباده إحسانه إليهم

وهو إما في الدنيا أو الدين , فيما : بالإيمان و الطاعة , أو بإعطاء الثواب على كل ذلك"⁽¹⁾

نجد أن الرازي يفسر إحسان الله تعالى و بره بعباده بالإيمان و الطاعة و الثواب , وذلك مبني على قولهم : أن الخلق هو المخلوق و الفعل هو المفعول , فالله تعالى لا يقوم به وصف الإحسان .

وقد تقدم الجواب عن تلك الشبهة . و نجل ما قرره السلف بما يلي :

1- أن وصف الله تعالى بالإحسان صفة كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه , كما دل على ذلك الكتاب و السنة .

2- أن كل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أولى به , وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أولى بتنزيهه عنه⁽²⁾ .

3- أن باب الأسماء و الصفات باب واحد لا فرق بين الأسماء والصفات , ولا فرق بين صفة و أخرى فالقول في بعض الصفات كالقول في بعض⁽³⁾ .

(1) لوامع البينات ص321.

(2) الفتاوى 16 / 357.

(3) التدمرية ص 21.

المبحث الثالث : آثار الإيمان بعدل الله تعالى و إحسانه على حياة المسلم :

إن الإيمان بأسماء الله وصفاته يستلزم الإيمان بما دلت عليه من المعاني , وبما تقتضي من الآثار.

قال ابن القيم : "الأسماء الحسنى و الصفات العلى مقتضية لآثارها من العبودية و الأمر, فلكل صفة عبودية خاصة هي موجبات العلم بها و التحقيق بمعرفتها, وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية, فعلم العبد بتفرد الرب بالضر والنفع والعتاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يثمر له عبودية التوكل عليه باطناً, ولوازم التوكل ظاهراً, وهكذا بقية الصفات, علم العبد بها يثمر من أنواع العبودية ما يناسب ذلك"⁽¹⁾.

لعل أبرز آثار الإيمان بعدل الله و إحسانه ما يلي :

1- العدل مع الله تعالى و ذلك بتحقيق العبودية لله وحده لا شريك له , فإن أعظم العدل أفراد الله بالعبادة , كما أن من أعظم الظلم صرف العبادة لغيره و اتخاذ الشريك مع الله .

كما أخبر الله تعالى بقوله : { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } [لقمان , 13].

فالتوحيد أصل صلاح الناس , و الشرك أصل فسادهم , فالتوحيد و ما يتبعه من الحسنات هو صلاح و عدل للعالم , والشرك و الذنوب و العدوان هو الظلم الذي يأت منه العالم⁽²⁾.

2- الإيمان أن الشرائع و ما تضمنته من الفرائض و النواهي عدل و إحسان و رحمة للخلق .

قال ابن القيم - رحمه الله - : "فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم, ومصالح العباد والمعاد, وهي عدل كلها, ورحمة كلها, ومصالح كلها, وحكمة كلها, فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور والرحمة إلى ضدها, وعن المصلحة إلى المفسدة, وعن الحكمة إلى العبث, فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها التأويل, فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه, وظله في أرضه, وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله - صلى الله عليه وسلم - أتم دلالة وأصدقها,

(1) مفتاح دار السعادة 90/1.

(2) انظر : الفتاوى 18 / 161 , 165.

وهي نوره الذي أبصره المبصرون" (1).

3- الإيمان أن من كمال عدل الله و إحسانه أرسل الرسل مبشرين و منذرين , لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل , كما قال تعالى : { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } [الاسراء , 15] (2).

4- الإيمان أن من كمال عدل الله و إحسانه أنه أعطى العباد الأسماع و الأبصار و العقول , و القدرة على أفعالهم , والإرادة , وممكنهم من جميع ما يريدون و لم يجبرهم على أفعالهم , فأفعال العبادة واقعة تحت اختيارهم و ,إرادتهم خيرها و شرها , ولا خروج لها عن قضاء الله تعالى و قدره .

5- الإيمان بكامل عدل تعالى في الجزاء و الحكم , فحكمه بين العباد بالعدل فلا يمنع أحداً حقه , ولا يغفل عن الظالمين , ولا يضيع حقوق المظلومين , فعدله شامل لجميع المخلوقات حتى الحيوانات غير المكلفة , فإنه تعالى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء , كما أخبر النبي - صلى الله عليه و سلم - بقوله: (لتؤدّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة, حتى يقاد الجلحاء (3) من الشاة القرناء بنطحها) (4).

ولذلك تنصب الموازين فلا يظلم أحد مثقال ذرة , كما أخبر تعالى: { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } [الأنبياء , 47].

فالله تعالى لا يسوي بين الأبرار و الفجار في الجزاء , فقد نزه الله تعالى ذاته المقدسة عن ذلك كما أخبر تعالى : { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } [الجاثية , 21] (5).

6- إن الله أمر عباده بالعدل والإحسان, كما قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ... } [النحل, 90].

(1) أعلام الموقعين 3/3 . (2) انظر : فتح الرحيم الملك العلام / للسعدي ص48.

(3) الجلحاء: التي لا قرن لها. انظر: لسان العرب 424/2 [جلح].

(4) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب : البر , باب : تحريم الظلم (2582) 4 / 1997.

(5) انظر : مفتاح دار السعادة 2 / 363.

وهذا العدل في كل أمور الحياة يشمل العدل بين المتخاصمين , و في أي حكم يحكم به الإنسان في الدنيا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "وكل من حكم بين اثنين فهو قاض, سواء كان صاحب حرب أو متولي ديوان أو منتصب للاحتساب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, حتى الذي يحكم بين الصبيان في الخطوط, فإن الصحابة كانوا يعدونه من الحكام"⁽¹⁾.

7- العدل و الإحسان مع الخلق جميعاً مؤمنهم و كافرهم , كما أمر الله تعالى بقوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ } أي : لا يحملنكم بغض الكفار على عدم العدل معهم.

قال شيخ الإسلام - رحمه الله : "ولهذا كان العدل أمراً واجباً في كل شيء و على كل أحد أصلاً , سواء كان مسلماً أو كافراً , أو كان ظالماً"⁽²⁾.

كما أمر الله تعالى بالإحسان إلى الخلق حتى الكافر منهم في قوله تعالى : { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } [المتحنة, 8].

فأمر الله تعالى بالإحسان للكافر غير المحارب لتصل رسالة الإسلام و تعاليمه السمحة إلى جميع الخلق.

8- إن الإيمان بعدل الله تعالى , وإحسانه يدفع الإنسان للإيمان بقضاء الله وقدره , فالله تعالى قسم الأرزاق , ووضع الأمور في مواضعها , لا يظلم ربك أحداً, فذلك يقضي على كثير من الأمراض التي تعصف بالمجتمعات وتزرع الأحقاد.

9- إن الإيمان بإحسان الله تعالى يدفع المؤمن إلى التضرع إلى الله تعالى بالدعاء والافتقار إليه طلباً لجوده وإحسانه وفضله.

(1) الفتاوى 18 / 170.

(2) الفتاوى 18 / 166.

الخاتمة

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه , فهو المستحق للحمد والشكر والتعظيم على ما منّ علينا وتفضل من إتمام هذا البحث الذي كان من أهم نتائجه:

1- أهمية الإيمان بأسماء الله وصفاته ؛ فالعلم بها من أشرف العلوم إذ شرف العلم بشرف المعلوم وهو الله تعالى , وما يثمره الإيمان بأسمائه تعالى وصفاته من العبودية والتعظيم لله تعالى .

2- إن الطريق الصحيح لمعرفة الله بأسمائه وصفاته كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - , ولا مجال للعقل للخوض في ذلك بالتعطيل أو التمثيل .

3- إن وصف الله بالعدل صفة كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه , ولا يترتب على ثبوتها محذور , بل ثبت في كتاب الله تعالى وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - .

4- ضلال أهل الكلام الذين عمدوا إلى كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - فحرفوه بأسماء الله و صفاته عن دلالتها .

5- آثار الإيمان بعدل الله تعالى على حياة المسلم , بعدله مع ربه بإقامة التوحيد الخالص , وعدله مع نفسه بإقامة العبودية لله تعالى , وعدله مع الخلق مؤمنهم وكافرهم , برهم وفاجرهم .

6- ثبوت اسم الله تعالى " المحسن " المتضمن وصفه بالإحسان إلى خلقه وبرهم .

7- آثار الإيمان بتسمي الله تعالى " المحسن " على حياة المسلم وإحسانه عبادته لله تعالى , وإحسانه إلى والديه , وإحسانه إلى الخلق كافة مؤمنهم وكافرهم .

8- عظمة هذا الدين الذي أمر بالرفق والإحسان لجميع المخلوقات حتى الحيوان البهيم , فأمر بإحسان و القتل دفعا لتعذيبه .

وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين , وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

المصادر والمراجع

- 1- أحكام القرآن , أبو بكر بن عربي , دار الفكر , تحقيق : محمد عبدالقادر عطا .
- 2- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد و الرد على أهل الإلحاد - الشيخ صالح بن فوزان الفوزان , جامعة الإمام محمد بن سعود , الرياض , 1411.
- 3- الأسماء و الصفات , لأبي الحسين البيهقي , تحقيق: عبدالله بن عامر , دار الحديث , القاهرة , 1423هـ
- 4- أعلام الموقعين عن رب العالمين , محمد بن قيم الجوزية , راجعه : طه عبدالرؤوف سعد , دار الجيل , بيروت .
- 5- تفسير البغوي , للبغوي , دار المعرفة , بيروت , تحقيق : خالد العك .
- 6- تفسير القرآن العظيم , إسماعيل بن عمر بن كثير , دار الفكر , بيروت .
- 7- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان , عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي , تحقيق : عبدالرحمن اللويحق , مكتبة الرشد , الرياض , الثالثة , 1426هـ.
- 8- تلخيص الخبير من أحاديث الرافعي الكبير , أحمد بن حجر العسقلاني , تحقيق : السيد عبدالله اليماني , دار المحاسن , المدينة , 1384.
- 9- التوحيد و إثبات صفات الرب , أبوبكر محمد بن خزيمه , تحقيق : عبدالعزيز الشهوان , مكتبة الرشد , الخامسة , 1414هـ.
- 10- التوحيد و معرفة أسماء الله عز وجل و صفاته , محمد بن إسحاق بن منده , تحقيق , د. علي محمد الفقيهي , مكتبة العلوم و الحكمة , المدينة , الأولى , 1413هـ
- 11- توضيح المقاصد و تصحيح القواعد في شرح قصيدة بن القيم , أحمد بن إبراهيم بن عيسى , المكتب الإسلامي , الثالثة , 1406هـ
- 12- تهذيب اللغة , لأبي منصور ازهري , حققه : محمد عوض مرعب , دار إحياء التراث العربي , بيروت .
- 13- جامع البيان عن تأويل آي القرآن , لأبي جعفر الطبري , دار الفكر , بيروت , 1415هـ
- 14- جامع الرسائل , شيخ الإسلام بن تيمية , اليمامة , بيروت , الثالثة , 1987.
- 15- الجامع الصحيح , محمد بن إسماعيل البخاري , دار ابن كثير .
- 16- الجامع الصحيح لسنن الترمذي , محمد بن عيسى الترمذي , تحقيق : أحمد شاکر , دار إحياء التراث , بيروت ,

- 17- الحجة في بيان المحجة و شرح عقيدة أهل السنة , أبو القاسم إسماعيل الأصبهاني , حققه محمد بن ربيع المدخلي , الراية , الثانية , 1411هـ
- 18- خلق أفعال العباد , محمد بن إسماعيل البخاري , مؤسسة الرسالة , الثالثة , 1411هـ .
- 19- درء تعارض العقل النقل , أحمد بن عبدالحليم بن تيمية , حققه : محمد رشاد سالم , جامعة الإمام , الأولى , 1401هـ .
- 20- الرسالة التدمرية في تحقيق الإثبات للأسماء و الصفات , وحقيقة الجمع بين الشرع و القدر , أحمد بن تيمية , حققه : محمد بن عودة السعوي , 1405 .
- 21- سنن ابن ماجه , محمد بن ماجه القزويني , حققه : محمد فؤاد عبدالباقي , دار الفكر , بيروت .
- 22- سلسلة الأحاديث الصحيحة و شيء من فقهاها , محمد ناصر الألباني , المكتب الإسلامي .
- 23- شأن الدعاء , أبي سليمان الخطابي , حققه : أحمد الدقاق , دار الثقافة العربية , دمشق , الثالثة , 1413هـ .
- 24- شرح الإرشاد , لأبي بكر بن ميمون , حققه : أحمد حجازي , أحمد السقا , مكتبة الأنجلو العربية , مصر , 1407هـ
- 25- شرح الأصول الخمسة , القاضي عبدالجبار , تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم , دار إحياء التراث العربي , بيروت , الطبعة الأولى , 1422هـ
- 26- شرح السنة , الحسن بن علي البربهاري , حققه : محمد القحطاني , دار ابن القيم , الدمام , الأولى , 1408هـ .
- 27- شرح العقيدة الطحاوية , علي بن علي بن أبي العز الحنفي , حققه : عبدالله التركي , شعيب الأرنؤوط , مؤسسة الرسالة , الخامسة , 1413هـ
- 28- شفاء العليل في مسائل القضاء و القدر و التعليل , لابن القيم , دار الكتب العلمية , بيروت , الأولى , 1407هـ
- 29- صحيح مسلم , مسلم بن الحجاج النيسابوري , حققه : محمد فؤاد عبدالباقي , دار إحياء التراث العربي .
- 30- الصفدية : أحمد بن عبدالحليم بن تيمية , تحقيق: محمد رشاد سالم , دار الهدى النبوي , مصر , الأولى , 1421هـ .

- 31- فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد و التوحيد , عبدالرحمن بن ناصر السعدي , تحقيق: عبدالرزاق البدر , الثانية , دار بن الجوزي , الدمام , 1423هـ .
- 32- الفرق بين الفرق , عبد القاهر البغدادي , دار الكتب العلمية , بيروت .
- 33- فضائح الباطنية , محمد الغزالي , مؤسسة دار الكتب العلمية , بيروت .
- 34- الفوائد , محمد بن قيم الجوزية , دار الكتب العلمية , بيروت , الثانية , 1393هـ .
- 35- الكامل في ضعفاء الرجال , عبدالله بن عدي , دار الفكر , بيروت , الثالثة , 1409هـ .
- 36- لسان العرب , محمد بن منظور , دار صادر , بيروت , الأولى .
- 37- لوامع البيان شرح أسماء الله تعالى و الصفات , فخر الدين الرازي , راجعه و علق عليه : طه عبدالرؤوف سعد , المكتبة الأزهرية .
- 38- الماتريدي دراسة و تقويم , أحمد بن عوض الحربي , دار العاصمة , الرياض , الأولى , 1413هـ .
- 39- مجمع الزوائد و منبع الفوائد , علي الهيثمي , دار الكتاب العربي , دار الريان , القاهرة . بيروت , 1407هـ .
- 40- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية , جمع و ترتيب : عبدالرحمن بن قاسم و ابنه محمد , مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف , المدينة .
- 41- مجموع فتاوى و مقالات الشيخ عبدالعزيز بن باز , اشراف : محمد بن سعد الشويعر .
- 42- مجموع فتاوى و رسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين - فتاوى العقيدة - جمع و ترتيب : فهد السليمان , دار الوطن , الأخيرة , 1413هـ .
- 43- مدارج السالكين , محمد بن قيم الجوزية , دار الكتب العلمية , بيروت , الأولى .
- 44- مختار الصحاح , محمد بن القادر الرازي , تحقيق: محمد طاهر , مكتبة لبنان , بيروت , 1415 هـ .
- 45- مختصر الصواعق على الجهمية و المعطلة , محمد بن قيم الجوزية , تحقيق: سيد إبراهيم , دار الحديث , القاهرة , الأولى , 1412هـ .
- 46- مسند الإمام أحمد , أحمد بن حنبل الشيباني , مؤسسة قرطبة , مصر .
- 47- مصنف عبدالرزاق , عبدالرزاق بن همام الصنعاني , تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي , المكتب الإسلامي , بيروت , الثانية , 1403هـ .
- 48- المعجم الأوسط , أبو القاسم الطبراني , حققه : طارق عوض الله , دار الحرمين , القاهرة , 1315هـ .

- 49- معجم مقاييس اللغة , أحمد بن فارس , حققه : عبدالسلام هارون , دار الجيل , بيروت , الثانية ,
1420هـ
- 50- المغني في أبواب التوحيد و العدل , القاضي عبد الجبار , قدم نصه : إبراهيم الأبياري , الشركة العربية
للطباعة , الأولى , 1380 .
- 51- مفتاح دار السعادة , ابن القيم , تحقيق : سيد إبراهيم , دار الحديث , القاهرة , 1414هـ .
- 52- مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين , علي بن إسماعيل الأشعري , دار إحياء التراث , الثالثة , بيروت .
- 53- المفصل الأسنى شرح أسماء الله الحسنى , محمد الغزالي , تحقيق : محمد عثمان , مكتبة القرآن , القاهرة .
- 54- الملل و النحل , محمد بن عبدالكريم الشهرستاني , حققه : محمد سيد كيلاني , دار المعرفة , بيروت .
- 55- النبوات , أحمد بن عبدالحليم بن تيمية , دار الكتب العلمية , بيروت , 1405هـ .